نقد آراء المستشرقين حول القرآن

د. مصطفى جلالي

عضو هيأة تدريس، جامعة بيام نورالإيرانية

mgalay60@yahoo.coom

م. م .عماد كاظم مانع

طالب دكتوراه جامعة شهيد جمران ، أهواز ، إيران

المقدمة

هناك مجموعة من الغربيين تعرضت إلى دراسة حضارة الشرق، وتراثه، وثقافته، وما يتعلق به من أمور ثقافية، واقتصادية، وسياسية... وغيرها، من أجل تشويه صورة القران الكريم وبالتالي عزل المسلمين عن دستورهم الالهي ،وفي موضوعنا هذا نتطرق إلى قسم خاص من هذه الفئة، وبالأخص إلى واحد من هذه الفئة؛ وهم المستشرقون الذين تعرضوا إلى الكتاب المقدس عند الشرق، الذي يشكل المحور الأساسي عندهم، وعلى دستوره تقوم حياتهم الشرقية، ألا وهو القرآن الكريم المنزّل من عند خالق البشرية جمعاء، وقبل أن نتعرض إلى هذا القسم من المستشرقين، نوضح الصورة العامة للاستشراق ونشأته وأهدافه ودوافعه ثم بيان اشكالاته وردها ، ولكي نتعرف على بعض آرائهم، والرد عليها نبين معنى الاستشراق في اللغة والاصطلاح .

١-١ الاستشراق لغةً واصطلاحاً:

الاستشراق لغةً:

استشراق مصوغة على وزن استفعال، لوجدناها مأخوذة من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه وجاء في "المعجم الوسيط" "شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت[١])وفي لسان العرب: شرق: "شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقاً: طلعت، واسم الموضع: المشرق[٢]. وعلى قياسه تقول: (استشرق

الغربي) أي: صار شرقياً، وقد يُراد منه الدخول في الشرق، فنقول: (أشرق الرجل) أي: دخل في شروق الشمس، وفي التنزيل في سورة الحجر: (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ) الحجر:٧٣ أي مصبحين. وتقول: (أشرق القوم) أي دخلوا في وقت الشروق، وفي سورة الشعراء: (فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ) الشعراء:٦٠ أي لحقوهم وقت دخولهم في شروق الشمس.[٣]

ويعرّف الدكتور علي الصغير الاستشراق: "الاستشراق بتعبير موجز: هو دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتأريخه، ولغاته، وآدابه، وفنونه، وعلومه، وتقاليده، وعاداته"[٤] .

أما اصطلاحاً:

مصطلح الاستشراق لا يرجع إلى العصر الوسيط، بل إلى العصور القديمة، أي إلى الوقت الذي كان فيه البحر المتوسط كما قيل يقع في وسط العالم، وكانت الجهات الأصلية تتحد بالنسبة إليه. فلما انتقل ثقل الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال، بقي مصطلح الشرق دالاً على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط. ويبدو أنّ مصطلح الشرق لم يقتصر على هذه الرقعة الجغرافية فحسب، بل تجاوز إلى غرب الجزيرة العربية، وشمال أفريقيا، وذلك بعد الفتوحات الإسلامية، فعدّت كل من مصر والمغرب وشمال أفريقيا، وما تعرّب من سكان هذه الدول من الشرق، فشملها هذا الاسم باعتبار دينها الإسلامي، ولغتها العربية. وكما تخطّى مصطلح الشرق حدوده الجغرافية إلى غرب الجزيرة العربية وشمال أفريقيا، فقد تخطّى مصطلح الاستشراق الغربيين، وتجاوزهم إلى المستغربين بعامّة، فمن لم يعتنق اِلإسلام ديناً، ولم ينطق بالعربية لغةً، وكان من شأنهم أن بحثوا في تراث الشرق لغةً وأدباً. وإن كانوا شرقيين، فشملهم فعادوا مستشرقين وحينها يصحّ لنا إطلاق الاستشراق الروسي على المعنيين بالشؤون المشار إليها من قضايا الشرق الثقافية، وهكذا يقال الاستشراق الياباني أو الصيني، كما يقال الاستشراق الأميركي، أو الإنكليزي جنباً إلى جنب[٥] .

ويدخل ضمن معنى الشرق، أي منطقة شرقية"، لكن (المصطلح) هنا يعني أحياناً: (ما له علاقة بالدراسات الإسلامية والعربية، أو اللغات التي أثرت العربية فيها، كاللغة التركية، والفارسية).

وبعبارة أخرى: إنّ للاستشراق المصطلح إطلاقين:

الأول: البحث في تراث الشرق عامة.

الثاني: البحث في تراث الإسلام، وكل ما له صلة به خاصة.

وقد بدأت هذه الدراسات تتسع حتى أصبح لكل دراسة مساحتها التي تُعنى بها، فبدأ بعضهم يطلق على دراسة اللغة العربية، وشؤون العرب، تسمية الدراسات العربية (Arabistics).

ويطلق على المستشرقين المتخصصين باللغة العربية مصطلح (المستعربين). وعليه فإنّ الاستعراب فرع من فروع الاستشراق، وقد يتسع هذا المصطلح، ليشمل كل باحث غير عربي قد تخصص في دراسة العربية وما يتعلق بها من العلوم والمعارف، حتى وإن كان شرقياً. فاليابانى أو الصيني مثلاً قد يكون مستعرباً، ولكن لا يمكن اعتباره مستشرقاً، لكونه شرقياً أصلاً بحكم الجغرافيا. نعم يمكن اعتباره مستشرقاً من باب التوسع اللفظي، فيكون مستشرقاً بالمعنى الخاص. وبذلك تكون النسبة القائمة بين الاستشراق والاستعراب، نسبة العموم والخصوص من وجه، إذ يجتمعان في الغربي إذا نظر إلى العالم العربي، فهو حينها مستعرب ومستشرق ويفترق الاستعراب عن الاستشراق، إذا كان الدارس للشؤون العربية صينياً، أو يابانياً، أو هندياً. ويفترق الاستعراب عن الاستشراق، إذ لم تكن الدراسة الشرقية، التي يُعني بها الغربي عربية، كأن تكون هندية، أو فارسية، أو تركية يمكننا حصر أراء الباحثين في تأريخ الاستشراق، في النقاط الآتية[٦]:

الأولى: يرجع بعض الباحثين الاستشراق إلى أواخر القرن السابع من الميلاد[٧] .

ويستند في ذلك إلى كتابات بعض المسيحيين من العرب عن الإسلام، من أمثال: (يوحنا الدمشقي) وأضرابه. إلاّ أنّ هذا الرأي غير منسجم مع المفهوم العام للاستشراق، لأنّ (يوحنا الدمشقي) لم يكن غربياً بل هو مسيحي عربي، أي شرقي، وليس مستشرقاً.

الثانية: ومنهم من يرجع الاستشراق إلى المرحلة التي نقل فيها الكنيسيون علوم الكنيسة، وفلسفة اليونان، من الحواضر العربية إلى روما، حين كانت الكنيسة في احتضار فكري، فبدأت هذه المرحلة منذ وقت مبكر في تأريخ الإسلام، فكان أعظم ما قام به العرب، بعد نشرهم الإسلام، قيامهم بترجمة آداب وفلسفات العالم، وخاصة اليونانية، والهندية، والفارسية، ومناقشتها والرد عليها.

فكانت علوم الكنيسة من العلوم التي تناولوها بالترجمة، والنقد، والمناقشة. وكان للإسلام بذلك الفضل على الغرب. فبدون هذه الترجمات لم يكن لدى الغرب قدرة على استعادة تراثه اليوناني والروماني، وخاصة في العصر الذي أطبق الجهل فيه على جميع الشعوب الأورُبية[٨] .

الثالثة: هناك من الباحثين من يرى الاستشراق نتيجة طبيعية من نتائج الحروب الصليبية، لكونها آخر مراحل الصراع الديني المسلح بين المسلمين والمسيحيين؛ إذ توصل الغرب بعد ذلك الصراع الطويل إلى قناعة مفادها: (عدم إمكان التغلب على المسلمين عسكرياً، ما داموا متمسكين بدينهم وقرآنهم)؛ حيث قال في ذلك قائد الحملة الصليبية السابعة –والأخيرة– (لويس التاسع) وهو ملك فرنسا (١٢٢٦–١٢٧٠م)، إذ صرّح للجهات المعنية في أورُبا بعد عودته من أسرِه في مدينة المنصورة بمصر: "إنّه لا جدوى من القتال مع المسلمين؛ لأنّهم يملكون عقيدة راسخة تدفعهم إلى الجهاد، وتحضّهم على التضحية بكل ما يمتلكون،

وعليه لا بدّ من الفصل بين المسلمين وبين مصدر قوتهم المتمثل بالقرآن الكريم، من طريق الغزو الفكري[٩].

فتبنّت الكنيسة هذا المشروع، وقامت برعاية كلّ الجهود الرامية إلى ذلك، وتطورت بالتدريج لتكون فيما بعد حركة الاستشراق؛ وعليه يكون الاستشراق نشأ في القرن الثاني عشر من الميلاد، مقترناً بظهور أوّل نتاج استشراقي بترجمة معاني القرآن الكريم، وظهور أوّل قاموس لاتيني- عربي[١٠] .

الرابعة: منهم من يرى أنّ الاستشراق نشأ في القرن العاشر للميلاد، حيث بدأت الدراسة الغربية للشرق، والتي كان رائدها الراهب (جربير) الذي تعلم العربية في قرطبة، ثم عاد إلى بلاده ليتولى البابوية، ملقباً نفسه: (البابا سلفستر الثاني).

الخامسة: من يُرجع نشأة الاستشراق إلى القرن الثامن عشر، متخذاً من حملة (نابليون بونابرت) على مصر نقطة انطلاق للحركة الاستشرافية، حيث اصطحب نابليون في حملته العسكرية مطبعةً وعدداً من العلماء والباحثين، مما دفع إلى القول بأنّها بداية الاستشراق.

١-٢ دوافع الاستشراق:

إذا نظرنا إلى أهداف الاستشراق فنجدها متغايرة في مقصودها فمنهم غرضه التبشير، والبعض الآخر هو الاستعمار، وقسم آخر بهدف البحث العلمي فنوضح كالآتي:

أ- الدوافع التبشيرية:

ذهب (رودي بارت) إلى أنّ الهدف الرئيسي للمستشرقين في بدايات الاستشراق في القرن الثاني عشر الميلادي وفي القرون التالية له: هو التبشير، وعرّفه بأنّه: "إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي"، ويمكن الرجوع في ذلك إلى الكتاب الذي وضعه: (نورمن دانيل) باسم: الإسلام والغرب (١٩٦٠م).

وقد أكّد تُهم المستشرقين التبشيرية الأستاذ (محمد البهي) بكتابٍ أسماه (المبشرون والمستشرقون) في موقفهم من الإسلام، وقد ردّ عليه الدكتور (محمد يحي الهاشمي)، الذي فنّد أغلب النوايا الهامشية للاستشراق، نحن لا ننفي جميع هذه الادّعاءات بنية التبشير، كما أننا لا نوافقها جميعاً، فمنهم للاستعمار أيضا ، كما أنّ منهم من هو منصف ببحثه العلمي . يلحظ أنّ جماعة من المستشرقين قد وصف القرآن بأنّه نسيج من السخافات، وبأنّ الإسلام مجموعة من البدع، وبأنّ المسلمين وحوش، ومن ضمن من عبّر بذلك من المستشرقين (نيكولا ديكيز، وفيفش، وفراتشي، وهوتنجر، ويلياندر، ويريدو) وغيرهم.

كما أنّ قسماً آخر من المستشرقين الألمان واليهود أمثال (فيل، وجولد سهير، وبول) قالوا بأنّ القرآن حُرّف وبُدّل بعد وفاة النبي، وقد تكفل بالردّ على هذه المزاعم الكاذبة جملة من المستشرقين المنصفين لا سيما (السير وليام موير) في كتاب (حياة محمد): فكان ما تحدث فيه عن منزلة القرآن ودقة وصوله سالماً، خير ردّ على التجني والحقد الأعمى، واعتبر ذلك تهرّباً عن البحث العلمي الرّصين، وعقّب على ظاهرة الوحي، فنفى ما افتراه الجاهلون على النبي، بينما زعم آخرون: بأنّ النبي كان في القرآن ساحراً، وأنّه لم ينجح إلى كرسي البابويّة، فاخترع ديناً جديداً لينتقم من زملائه. وقد هزّ هذا التحدي السافر المستشرق (آميل درمنجهام)، ففند أباطيل هؤلاء الدعاة وحمل عليهم، وردّ هذه التهم الرخيصة التي خالفت الواقع. وبذلك أُدين المستشرقون المتطرفون بفم المستشرقين المنصفين[١١] .

ب–الدوافع الاستعمارية:

وقد يكون دافع الاستشراق دافعاً استعمارياً تمليه طبيعة عمل المستشرقين في البلدان العربية والإسلامية، من ضرورة إتقان اللغة، والتخصص بجملة من فنون الشرق، أن يشكك المسلمين بعقيدتهم، أو يسفّه أحلامهم، أو ينحو باللائمة على أئمتهم، أو يقلل من أهمية تراثهم.

يقول الأستاذ نجيب العقيقي: "فلما أرادت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاغتراف من تراثه، والانتفاع بثرائه، والتزاحم على استعماره، أحسنت كل دولة إلى مستشرقيها فضمهم ملوكها إلى حاشياتهم أمناء أسرار وتراجمة، وانتدبوهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية إلى بلدان الشرق، وولوهم الكراسي اللغات الشرقية في كبري الجامعات والمدارس الخاصة، والمكتبات العامة، والمطابع الوطنية، وأجزلوا عطاءهم في الحل والترحال، ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية"[١٢] .

وقد يكون الدافع الاقتصادي الذي أوجده الجهد الاستعماري مرتبطاً بالهدف العلمي باعتبار الاستشراق مهنة عملية يوظف لها الأكْفَاء والمتخصّصون، فأساتذة اللغات

الجدل والموسرون نالوا جزاءهم بإرساء النهضة الأوروبية على التراث

العربي[١٣] .

ج– الدوافع العلمية:

وهناك من المستشرقين الذين كرسوا جهودهم على الوصول إلى الحقيقة العلمية، وكان هدفهم البحث العلمي، والوقوف على الحقائق، ولم تتدخل الأهواء في نقل ما توصلوا له من معارف، ووقائع وجودية، فأنصفوا الناس في إيصال تلك النتائج والمعارف والحقائق العلمية إليهم. فقد أخذوا على أنفسهم منهجاً علمياً

حيادياً وموضوعياً، تجرّد من جميع السلبيات التي واكبت الدراسات الاستشراقية الأخرى، ونذكر من أولئك على سبيل المثال: (جان جاكوب رسيكه)، و(لورا فيشيا فاغليري)، و(روجيه غارودي) وغيرهم[١٤] .

١-٣ شبهات طرحها المستشرقون:

زعمهم أن الوسط الوثني مصدر من مصادر القرآن الكريم:

أ- قولهم أن محمدا استقى معلوماته التي وضعها في القرآن من البيئة التي عاش فيها بدليل التشابه..

ب- أن التشابه الموجود بين مقاطع من الشعر الجاهلي وبعض الآيات القرآنية حيث زعموا أن محمد (عليه السلام)استقاها من وسطه الوثني ووضعها في القران.

المصدر الثاني: (الحنفاء):

ذهب بعض المستشرقين ومنهم تسدال ومستر كانون (سل) وغيرهما إلى أن الحنفية ورجالها قبل البعثة المحمدية هم أحد مصادر القرآن بدليل وجود توافق وتشابه بين أحكام القرآن وهداياته وبين ما كان يدعو إليه الحنفاء[١٥] . مثل:

١- الدعوة لإفراد الله بوحدانيته سبحانه وتعالى.

٢- رفض عبادة الأصنام.

٣- الوعد بالجنان

٤- الوعيد بالعقاب في جهنم.

٥- اختصاص المولى بأسماء: الرحمن، الرب، الغفور.

٦- منع وأد البنات. والإقرار بالبعث والنشور والحساب.

المصدر الثالث: (الصّابئة):

اعتبر المستشرقون الصابئة مصدر من مصادر القرآن الكريم وذلك للتشابه بينهما وبين ما جاء في القرآن من عقائد وعبادات ونسك حيث قالوا إن التأثير من الصابئة انتقل لمحمد عليه السلام عبر الوسط الوثني الذي عاش فيه محمد عليه السلام وأخذ منه كثيراً من طقوسه الدينية فمثلاً في:

١- التشابه بين الصابئة والإسلام في الصلاة.

٢- التشابه في الصوم وارتقاب انتهائه وارتقاب الأعياد ببعض الكواكب.

٣- التشابه في الحج والتلبية وتقديم القرابين

(المصدر الرابع): (الزرادشتية والهندية القديمة):

زعم (تسدال) أن كثيراً من المطالب الواردة في القرآن وفي الأحاديث تطابق مطابقة غريبة لما ورد في كتب الزرادشتية والهندية القديمة فينتج من ذلك أننا ملزمون على حد تعبيره أن الهندية مصدر من مصادر القرآن.

(المصدر الخامس): (النصرانية):

زعم تسدال أن النصرانية كانت أحد المصادر التي أخذ منها محمد وأدخلها في قرآنه مع أن مصادر النصرانية هذه لم تكن موثوقة بل كانت لفرق شاذة لها أساطير غريبة وكان يظن أنها الإنجيل[١٦].

واستشهد تسدال على ذلك ببعض القصص وبعض القضايا الأخرى ومن القضايا التي ذكرها: قصة أصحاب الكهف. و قصة مريم عليها السلام • قصة طفولة المسيح وما جاء من معجزات ذكرها القرآن وأنكرها تسدال:-و كلامه في المهد، صنعه من الطين طير، قصة المائدة ونزول عيسى في آخر الزمان.

المصدر السادس: (اليهودية):

زعم تسدال، باسيه، أندريه، لامنز، جولد تسيهر، وغيرهم أن اليهودية مصدر من مصادر الإسلام واستدلوا على ذلك:

١- تشابه القرآن واليهودية في القصص مثل قصة ابني آدم وقصة إبراهيم.

٢- التشابه في بعض القضايا العقدية والتشريعية والحث على مكارم الأخلاق.

(الردود على المصادر والأجوبة الخاصة بها):

١- الرد على المصدر الأول وهو: (زعمهم أن الوسط الوثني مصدر من مصادر القرآن): لما أرسل الله تعالى إبراهيم وأمره ببناء الكعبة بمساعدة ابنه إسماعيل تزوج إسماعيل وكثر نسله حتى ملؤا الشعاب وضاقت بهم ووقعت بينهم الحروب فخرج منهم أناس وتوسعوا في البلاد لالتماس العيش. وبعد فترة دخلت الوثنية ديارهم وكان ذلك بسبب أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا واحتمل معه حجراً من حجارة الحرم حيث يطوفون به تعظيماً للكعبة وهكذا استبدلوا بدين إبراهيم غيره من عبادة الأوثان وصاروا مثل بقية الأمم

وبقي فيهم بقايا من عهد إبراهيم يتنسكون بها مثل تعظيم البيت والطواف والحج والعمرة ومزدلفة... فلما أرسل الله تعالى محمد أراد من قومه أن يعودوا لدين إبراهيم قبل التحريف والتغيير فدعاهم لعبادة الله وصرف كل الأمور دون وسائط.. فأبوا أن يطيعوه وأخرجوه وقاتلوه حتى حقق الله النصر له ولأصحابه. ويتبين لنا من خلال هذا الكلام على أن العرب كان فيهم بقايا من دين إبراهيم وبقايا من أخلاق الإسلام وأمور أقرها الإسلام ورغب فيها كالشجاعة والكرم ووصل الأرحام... وأما بالنسبة لقولهم أن التشابه الموجود بين مقاطع من الشعر الجاهلي وبعض الآيات والتي استقاها محمد ووضعها في القرآن. وخاصة أن بعض الآيات توافقت مع مقاطع من شعر أمية بن أبي الصلت وامرؤ القيس.

والرد على ذلك:

إن قضية التلفيق في الشعر ونسبتها للقدماء من الشعراء أمر لا يستطيع أحد إنكاره وقد فعل هذا (حماد الراوية وخلف الأحمر) فما الذي يمنع أن يكون هذا الشعر ملفقاً على العصر الجاهلي وعلى شعرائه. أما بالنسبة لأمية بن أبي الصلت: فقد عاش في عصر نزول الوحي بالطائف وكان من الحنفاء من قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله وكان يرغب عن عبادة الأوثان ويخبر بأن نبياً يبعث وكان يعرف بأمور الآخرة وتبشير للمؤمنين وتبكيت للمجرمين. فتوافقها مع الآيات كتوافق أفكار ومصطلحات مع التوراة والإنجيل مع الفوارق في اللغة والأسلوب. لذا فهو يأخذ أشعاره من أساليب القرآن ومعانيه[١٧].

٢- الرد على المصدر الثاني (الحنفاء):

أن الإسلام ما جاء ليهدم كل ما وجده في طريقه، لا بل ما كان منه موافقاً للإسلام أبقاه ودعمه وأحياه ووضح هذا المعنى قوله عليه السلام: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وهذا المبدأ الذي جعل الرسول عليه السلام يحضر حلف الفضول في دار عبدالله بن جدعان قبل بعثته لأنه يتمشى مع فطرته عليه السلام ويلائم ما نشأه الله عليه سبحانه. ومنه ما كان عليه السلام يثني على صاحب الخلق النبيل حتى لو كان مشركاً كثنائه على حاتم الطائي لكرمه. وما كان منه مخالفاً له فحاربه لمحاربته للشر وللخلق الهابط كمحاربته التعري حول البيت أثناء الطواف لعدم ملاءمته حرمة المكان ولمخالفته الفطرة السوية. ولأنه تأباه النفس الأبية الزكية هذه هي نقطة اللقاء بين الإسلام والحنيفية لا كما يفهمه المستشرقون. ومن هنا يتبين الفرق بين نبوة كاملة وشرع متكامل وقرآن معجز عظيم وبين بقايا دين طمس نوره بين حطام الجاهلية وأوحال الشرك والوثنية.

٣- الرد على المصدر الثالث (الصابئة):

كلمة الصابئة أصلها عربي لا كما زعم المستشرقون فمعناها خرج من دين إلى دين آخر كما تصبأ النجوم أي تخرج من مطالعها. والعرب كانت تسمي النبي عليه السلام الصابئ لأنه خرج من دين قريش إلى الإسلام ويسمون من دخل دين محمد صابئ. والصابئة: لما مالوا عن سنن الحق وزاغوا عن نهج الأنبياء سموا بهذا الاسم والصابئة من أكثر الفرق صعوبة في الحكم عليها حيث أنها تلتقي مع كثير من الديانات السماوية وغير السماوية سواء في العقائد أو في العبادات أو غير ذلك من أجل هذا اختلف أحكام الناس عليهم من القديم وعلى ما كان وجودهم. ومن هنا يظهر الفرق الكبير بين الإسلام وبين الصابئة في الاعتقادات والعبادات والأحكام

٤- الرد على المصدر الرابع (الزرادشتية الهندية القديمة):

إن الزعم الذي أورده (تسدال) يمكن تقسيمها إلى مجموعتين:

١- ما ورد لها أصل في القرآن والسنة الصحيحة مثل: قضية الإسراء والمعراج والجنة والنار والصراط والصلوات الخمس فهذه الأمور لها أصل في الديانات السابقة ومن تكريم الأنبياء بالمعجزات فإذا اشتملت بعض الديانات السماوية على مثل هذه الأمور ووافقت ما ورد في القرآن والسنة فتكون هذه القضايا من الأمور التي لم تتناولها أيدي التحريف والتبديل في الديانات السابقة المنسوخة[١٨].

فالزرادشتية سواء كانت في صورتها القديمة أو بعد انحرافها قد تأثرت بعدة ديانات منها الإسلام.

٢- النوع الثاني والتي لم يرد فيها أصل في القرآن ولا في السنة ووردت في الزرادشتية. ونسبها (تسدال) للإسلام من خلال بعض الكتب. إذاً هذه الأحاديث لا يصح الاعتماد عليها وجعلها عمدة في قضية غيبية كهذه لضعفها ووضعها ومن هنا تسقط هذه الشبهة التي استند إليها (تسدال).

٥- الرد على المصدر السادس (اليهودية):

يعترف الإسلام بالأديان السابقة ويوجب على أتباعه أن يعترفوا بهذه الرسالات وبالرسل الذين حملوها إلى أقوامهم، ولكن الإسلام جاء خاتماً للديانات السابقة وناسخاً لها وحاملاً أحسن ما حوته من تشريعات وزاد في احتياجات البشرية في كل جوانب الحياة، فجاء شاملاً لمناحي الحياة عاماً لكل بني الإنسان إلى يوم الدين. ملبياً

لهم كافة حاجاتهم البشرية وموضحاً ما يحتاجونه من أحكام شرعية مما يجب على البشرية الرجوع له واتباعه وتحكيم شرعه والخضوع لأوامره وتعليماته حيث أنه يتضمن باقي شرائع الله التي وردت في الكتب السابقة. [١٩]

٢- ١ شبهة المستشرقين حول نزول القران:

زعم المستشرقون ان الرسول كان يصاب بالصرع عند نزول القرآن عليه، وهذه فرية ما فيها مرية، ذلك ان الصرع مرض عقلي، يصيب الجهاز العصبي يصحبها غيبوبة وتشنج في العضلات ويعد نوعاً من أنواع الجنون، ولا شك ان هذا الطعن من أخبث الطعون إذ قصد به تنفير الناس من القرآن الذي مصدره رجل مجنون – على حد زعمهم – وما هذه الشبهة إلاّ ترداد لقول المشركين الأولين السذج((يا أيها الذي نُزل عليه الذكر إنك لمجنون)) (الحجر :٦) ، لكنه أخرج بصورة منمقة، وهذا الطعن مردود على أصحابه، فرسول الله كان أكمل الخلق خلقاً وخُلقاً، بل لقد تقرر عند أهل الأديان ان من أخص صفات الأنبياء – سلامتهم من الأمراض المنفرة، فكيف بأكمل الخلق وسيدهم كما ان النبي قد شهد له أهل عصره – وفي مقدمتهم كفار قريش أنفسهم – برجاحة عقله، ولذلك حكموه وارتضوا حكمه في حل معضلة كادت ان تسيل دماؤهم بسببها، وهو اختلافهم في الأحق بوضع الحجر الأسود في مكانه بعد بنائهم الكعبة، وهل يعقل ان يصدر مثل هذا القرآن عن رجل مجنون؟! وقد عجز جميع العقلاء عبر التاريخ وإلى اليوم عن الاتيان بمثله، وصدق الله: ((قل لئن اجتمعت الإنس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)) الاسراء: ٨٨ أما ان كان المقصود بالصرع تلك الحال التي تعتري النبي عند نزول الوحي عليه، فلا يمكن تسميتها صرعاً، لأنها ليست صرعاً، بل هي اغفاءة أي غيبوبة النبي عما حوله، وهي من علامات نزول الوحي عليه كما ثبت في صحيح مسلم عن أنس قال (بينما رسول الله ذات يوم بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلت: ما أضحك يا رسول الله؟ فقال: نزلت علي آنفاً سورة فقرأ سورة الكوثر) [٢٠]

أما العلامتان الأخريان الدالة على نزول الوحي عليه فهي ثقل جسمه، وتفصد العرق من جبينه كما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

ثانياً: شبهتهم حول الأسلوب القرآني: زعم المستشرقون ان أسلوب القرآن المدني تغيّر عن الأسلوب المكي بتأثير اليهود أو لمراعاتهم، وهذه قمة السذاجة ان يقال هذا، صحيح ان الأسلوب المدني قد اختلف عن الأسلوب المكي، لكن ليس بسبب اليهود، بل بسبب تغيّر الموضوعات والحاجة إلى تغيير الأسلوب ليناسب عرضها، فالموضوعات في العهد المكي كانت تدور حول الدعوة إلى الله، واثبات التوحيد والرسالة واليوم الآخر وتفصيلاته، من ذكر القيامة وأهوالها، والجنة ونعيمها والنار وعذابها كما أكثر القرآن من مجادلة المشركين بالبراهين العقلية، ولفت أنظارهم إلى آيات الله في الكون والنفس، كما تناول الأسس العامة للتشريع باجمال، وفضح جرائم المشركين المنافية للتوحيد والإنسانية، وأكثر من ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة تسلية للنبي وأصحابه الذين عانوا من الظلم والاضطهاد، لذلك تميز أسلوب العرض بقصر الآيات

وكثرة الفواصل، وقوة جرسها، وشدة قرعها على المسامع، وصعقها للقلوب، مع كثرة ورود القسم المصاحب للموضوعات[٢١] .

٢-٢ شبهة حول محمد والقرآن:

يشكل أحد المستشرقين من الكتاب حول القران الكريم والنبي الاكرم (ص) حيث يقول :إن كتاب الإسلام المقدس وتجربة محمد النبوية ترتبطان ارتباطاً وثيقاً بحيث لا يمكن فهم أيهما فهماً كاملاً دون الآخر. ثم يشير إلى ما استقر عليه الرأي من أن الله في القرآن هو المتكلم دائماً، وأن محمداً هو المتلقي وأن جبريل هو وسيط الوحي ويضيف: ولكن تحليل النص يبين أن الموقف أشد تعقيداً من هذا. ويبدأ الكاتب في عرض نصوص من القرآن الكريم لبيان العلاقة التي تربط بين أطراف القضية الثلاثة: المتكلم، والوسيط، والمتلقي، استناداً إلى منهج " النقد الأعلى والأدنى" الذي يعمد إلى تحليل هذه النصوص وربط بعضها ببعض ربطاً تاريخياً، وسوف نتتبع الكاتب في هذا العرض ونتقصَّى ما ذهب إليه، فإن كان مشتملاً على حقائق علمية ثابتة أيدناها ووافقناه، خدمة للكتاب العزيز، وإن جاء متضمناً غير ذلك بيناً وجه الخطأ فيه، وحاولنا قدر استطاعتنا الإبانة عن الحق والصواب بالبينة والبرهان [٢٢].

أ- المتكلم:

يقول: "فيما يبدو أن الأجزاء الأقدم من القرآن، لا يتبين المتكلم أو مصدر الوحي، ففي بعض السور (يشير إلى آيات في سور الشمس، والقارعة، والتكاثر، والعصر) لا نجد حتى مجرد إشارة بأن الرسالة تأتي من الإله. والكاتب يتجاهل هنا الآيات الأولى التي نزلت من القرآن، في سورة العلق[٢٣] ، (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ، فالرسالة قد أنزلت من الخالق، والنبي مكلف بالبلاغ. كما يتجاهل الكاتب – هو ومن نقل عنه من المستشرقين [٢٤] – ما ورد في سورة الشمس نفسها التي استشهد بها من قول الله تعالى: (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) فهذه وغيرها كلها إشارات إلى الخالق المعبود وصنعه في الكون وفي النفس البشرية. ثم يقول الكاتب: إن السور المبكرة التي يشار فيها إلى إله محمد لا ترد فيها إشارة إلى اسم الإله، إنما هو لفظ الشخص الثالث، إذ ترد في العبارة "ربي" و"ربك" ويضرب الكاتب على ذلك مثلاً بما ورد في سورة: الذاريات، والطور، والمدثر. إلخ.

ب- الوسيط:

يقول: وفي السور المبكرة ومن أجل تحديد مصدر الوحي، فإن الله هو المتكلم، وهو المصدر المباشر، مثلاً (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) . (المزمل ٥) و (سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى) (الأعلى ٦) ، وعدد آخر من السور المكية المتأخرة والمدنية المبكرة يتحدث عن آيات القرآن والكتاب لمحمد يشير إلى قوله تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) (البقرة: ٢٥٢) ، وآل عمران ١٠٨ وكلاهما مدنية، والجاثية ٦ مكية . لكن في

خلال الفترة نفسها نجد مجموعة من السور تقول بتعالي الله عن الإيحاء المباشر. وقد جاء هذا بطريقتين: أن تقال الرسالة لكي تنزّل عن طريق وسطاء معينين. وأن تتصل بشكل ما بـ "الكتاب" وكلتا الظاهرتين تتضح في سورة حيث ينكر القرآن بصراحة أن يتكلم الله مباشرة مع محمد: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء. وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) (الشورى :٥١).

الرد : لا يمكن أن يزعم الكاتب اعتماداً على الآيتين اللتين أوردهما من سورة المزمّل وسورة الأعلى أن الله قد كلم محمداً – صلى الله عليه وسلم – تكليماً فما هو إلا تنزيل، ولا شك أن التحجج بالكلمات: سنلقي عليك، سنقرئك، نتلوها عليك، يدل على جهل مطبق بأساليب العربية، وهي لا تدل بحال على الإلقاء المباشر أو القراءة والتلاوة المباشرة على المتلقي. ومن ثم فليس هناك تناقض ولا تعارض بين الآيات المبكرة والمتأخرة كما يزعم الكاتب ،أما ما قاله الكاتب من أن القرآن لم يذكر أن الملائكة وسطاء للوحي، فيكفي أن نستشهد بالآية الأولى من سورة فاطر المكية: (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً) وبالآية (٧٥) من سورة الحج (مدنية) : (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ) وللدلالة على أن جبريل من الملائكة ما جاء في وصفه بالآية (١٩) من سورة التكوير (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) فهو إذن رسول من الملائكة الذين يصطفيهم الله. ثم إن الآية التي يشير إليها الكاتب: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ) إنما هي تصريح بأن جبريل نزل بالقرآن كله مكية ومدنية.

ج– المتلقي:

وبعد أن فرغ الكاتب من الحديث عن طرف القضية الثاني، وحاول أن يلغى دوره أو يشكك فيه ينتقل إلى الطرف الأخير في القضية. محمد صلى الله عليه وسلم. يقول: يتحدث القرآن أيضاً لأول مرة عن معلم محمد من البشر في سياق مجموعة الاتهامات التي وجهها له معارضوه: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (الفرقان ٤ وما بعدها) .يقول الأستاذ سيد قطب في ظلال القرآن :وحتى الماديون الملحدون في روسيا الشيوعية، عند ما أرادوا أن يطعنوا في هذا الدين في مؤتمر المستشرقين عام ١٩٥٤ كانت دعواهم أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عمل فرد واحد – هو محمد – بل من عمل جماعة كبيرة. وأنه لا يمكن أن يكون قد كتب في الجزيرة العربية بل إن بعض أجزائه كتب خارجها. فكيف كان يمكن – وهذا رأي جماعة من العلماء في القرن العشرين – أن يعلمه بشر لسانه أعجمي عبد لبني فلان في الجزيرة؟[٢٥] ونحن بدورنا نقول للكاتب ولغيره ممن يزعم هذا الزعم: قل لنا ما اسم هذا المعلم؟ ومن الذي رآه وسمعه؟ وماذا سمع منه؟ ومتى كان ذلك؟ وأين كان؟[٢٦] .ثم يقول كاتب المقال: "وهناك سور مدنية تعطى انطباعاً بأن محمداً جهد في الحصول على معلومات من الكتاب المقدس عند اليهود، حيث جرى اتهامهم بأنهم يخفون كتابهم عنه. وقد

عرضت بعض النسخ المكتوبة على محمد أو أتباعه، انظر: مثلاً: الأنعام ٩١: قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وهذه السورة التي عدها الطبري – الذي يرجع إليه الكاتب كثيراً – مكية وليست بمدنية، كما اختار الطبري قول ابن عباس ومجاهد في أن الآية نزلت في قريش واستحسن قراءة" يجعلونه " بدلا من "تجعلونه"

ومن ثم يكون تفسير الآية: قل لهم يا محمد: من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس، مما يجعله اليهود صحائف يخفون بعضها ويظهرون بعضها قضاء للباناتهم من وراء هذا التلاعب الكريه"[٢٧]

وقد اختار ابن كثير ما اختاره الطبري لأن "الآية مكية واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد (صلى الله عليه وسلم) لأنه من البشر[٢٨] ،بل إن المستشرق تيودر نولدكه في كتابه "تاريخ القرآن" والذي يتمسك كاتب المقال بأقواله ويعده عمدة في ترتيب النزول – يجعل السورة مكية وليست مدنية[٢٩] ، كما يقول كاتب المقال. ومن ثم فالخطاب هنا لقريش، لا لليهود الذين وصفتهم الآية بأنهم يخفون بعض أجزاء التوراة لغرض في نفوسهم، وليس لإبعادها عن عين محمد صلى الله عليه وسلم كي لا يقتبس منها، كما يزعم الكاتب. حتى ولو كان الخطاب موجهاً إلى اليهود – كما اختاره بعض العلماء والمفسرين – فالمعنى هو هو، ولا يحتمل غيره. ولقد ورد الخطاب بالمعنى نفسه إلى اليهود في سورة مدنية هي (المائدة :١٥)(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ) وفي سورة (البقرة :١٧٤): (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ) ، وفي (المائدة : ٦١)(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ) ، ويبين القرآن في الآية الواردة في سورة (البقرة :١٧٤) نفسها هدف اليهود من إخفاء جانب كبير من "الكتاب" (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً) فهذا هو هدفهم على نحو ما حدده القرآن نفسه، وما كان ينبغي لكاتب المقال وقد ألزم نفسه باتباع منهج النقد الأدنى بالتعمق في دراسة النص وكشف غموضه[٣٠] .

٢-٣ شبهة حول الناسخ والمنسوخ:

لاشك أن من يريد أن يعرض لقضية الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لابد له – إذا صح قصده – أن يعرض لهذه القضية في الفصل الخاص "بتاريخ القرآن" وتطور الأحكام التي اشتمل عليها الكتاب العزيز. ولكن الكاتب أقحم هذه القضية – لغرض في نفسه سوف نتبينه من خلال تحليل مقولاته – على هذا الفصل المتعلق بـ "محمد والقرآن" ولم ينتظر حتى يعرضها في مبحث تاريخ القرآن والذي يلي هذا الفصل مباشرة.

يقول الكاتب: والقرآن نفسه يعترف بأن تغييرات وقعت في الوحي (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) (البقرة ١٠٦) ، (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ) (النحل:

١٠١) . ثم إن هناك آية في سورة الحج (٥٢ – ٥٣) تعطي تفسيراً آخر لتغيرات جرت في الوحي: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ).

الرد : إن الكاتب أقحم الآيات الواردة بسورة الحج في قضية الناسخ والمنسوخ وهي ليست منها، فقوله تعالى: (فينسخ الله)المراد إزالة تأثير ما يلقي الشيطان، وهو النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الأحكام[٣١] . ومن هنا فإن هذه الآية لا تتعلق بقضية النسخ في القرآن والكلام هنا يشمل الرسل والأنبياء جميعاً من أوتي منهم كتاباً ومن لم يؤت، ولا تخص محمداً (ص) وحده، ومن ثم لا يخصّ القرآن، وهو ما يعني أن ما يلقي الشيطان إنما هو خارج الوحي وليس فيه. أما وقد أثبتنا أن الآيات التي أوردها الكاتب من سورة الحج لا تشير من قريب أو بعيد إلى القرآن الكريم ولا تتعلق بقضية النسخ فيه، فعلينا الآن أن ننظر في الآيتين اللتين استشهد بهما الكاتب من سورتي البقرة والنحل. فالتشريع الإسلامي الذي نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قد مر بمراحل، وهذا التحول اقتضى أحياناً إلغاء قاعدة ما واستبدالها أخرى بها مختلفة عنها، فالتعديل الجزئي وفق مقتضيات الأحوال – في فترة الرسالة هو لصالح البشرية، فإذا نسخ الله آية ألقاها في عالم النسيان "[٣٢] وهذا لا يعني بحال أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نسي بعض الوحي فلم يضمنه الكتاب، وإنما هو قد أنسي آيات تتضمن أحكاماً وأوتي آيات خيراً منها، أما نسيان الرسول صلى الله عليه وسلم – باعتباره بشراً يصيبه النسيان فقد ضمن الله تعالى أن ينحيه عن الوحي منذ الوهلة الأولى في السور المبكرة بالفترة المكية، يقول تعالى في سورة الأعلى (سنقرئك فلا تنسى)

كما أن الأمر لو كان متعلقاً بنسيان الرسول صلى الله عليه وسلم – كما يزعم الكاتب – لما كانت هناك حاجة إلى الإتيان بآيات أخرى بدل التي نسيها، ولما كان هناك ناسخ ومنسوخ.

والله عليم بما يصلح للبشر من المبادئ والشرائع، فإذا بدل آية استنفدت أغراضها ليأتي بآية أصلح للحالة الجديدة التي صارت إليها الأمة وأصلح للبقاء أمد الدهر فالشأن له [٣٣] ، فإذا كان الله – عز وجل – قد بدل بعض الأجزاء – كما يقول الكاتب – ووضع مكانها أجزاء أفضل أو أحسن فالأمر له، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن القرآن الكريم قد نزل منجماً وأن من أهم المباحث التي عكف عليها المسلمون – بل وحتى المستشرقون – مبحث آيات الأحكام والتطور الذي لحق ببعضها خلال فترة نزول القرآن.

ولعل السبب الذي دفع علماء المسلمين إلى ترتيب سور القرآن الكريم حسب النزول منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم هو محاولتهم معرفة الناسخ والمنسوخ، الذي أصبح منذ القرون الأولى للإسلام علماً ينطوى على أهمية بالغة في الشريعة الإسلامية حيث تتوقف على هذه المعرفة قرارات علمية ذات أهمية قصوى في مسار الحياة العملية للمسلمين[٣٤] فالنسخ أمر مقرر ومعترف به في علوم القرآن لكن مناطه بيد الله سبحانه وتعالى، ولا ينسب إلى نسيان الرسول صلى الله عليه وسلم بحال من الأحوال.

٣-١ شبهة حول جمع القرآن مع ردها:

إن في المصحف ما ليس بقرآن، و يمثلون على ذلك بفاتحة الكتاب و المعوذتين وحجتهم في ذلك أن الصحابي عبد الله بن مسعود أسقطها من مصحفه، و من ثُم أنكرها كقرآن. [٣٥]

الرد:

أولا: عدم صحة النقل. فإن ما نسب إلى ابن مسعود غير صحيح، بل و مخالف لإجماع الأمة. و لا يعقل، بل يستحيل أن يحصل إنكار مثل هذا من صحابي جليل

الذي كان لا يفارقه، و شهد كثيرا من نزول الوحي، و هو الذي عاصر نزول الوحي في معظمه، و هو الأعلم من غيره بما هو قرآن، و ما هو ليس بقرآن. و هو الصحابي الجليل الذي عرف عنه تقواه، و شدة غيرته على دينه، و على قرآنه فالعقلانية السليمة تقتضي بطلان ما نقل عن ابن مسعود في هذا الشأن.

ثانيا: احتمال أن إنكار ابن مسعود كان قبل علمه بأنهما من القرآن. و بعد أن علم يحتمل : أنهما من القرآن آمن بهما، و أخذ بهما، و تمس بهما. قال بعض العلماء

و لم تتواتر صلى الله عليه و آله و سلم « أن ابن مسعود لم يسمع المعوذتين من النبي عنده، فتوقف في أمرهما، و إنما لم ينكر ذلك عليه لأنه بصدد البحث، و النظر، و الواجب عليه التثبت في هذا الأمر.»

ثالثا: عدم صحة النقل عن ابن مسعود بأنه أنكر قرآنية الفاتحة. و حاشا أن تكون الفاتحة قد خفيت عليه، و هي أم القرآن، و السبع المثاني، و مثلها مستحيل أن يخفى على ابن مسعود.و كذا لو صح أنه أسقطها من مصحفه، فلا يعني هذا أنه ينكرها.

رابعا: إن إنكار ابن مسعود لقرآنية الفاتحة، والمعوذتين، لو صح، فإن هذا لا ينقض قرآنيتهما، و تواترهما، و لا يرفع العلم اليقيني بقرآنية ما صح قرآنيته و ليس من شروط تواتر القرآن، والعلم اليقيني بثبوته ألا يخالفه مخالف حتى و لو كان من الصحابة، وإلا لأمكن هدم كل تواتر، و إبطال كل علم يقيني قام عليه[٣٦].

٣-٢حول كتابة القرآن و رسمه :

يقول صاحب الشبهة إن في القرآن لحنا، بدليل أنه روي عن عثمان بن عفان أنه حين عرض عليه المصحف بعد جمعه قال أحسنتم، و أجملتم، إن في القرآن لحنا ستقيمه العرب بألسنتها.

الرد:

أولا: الرواية عن عثمان غير صحيحة و إسنادها ضعيف، وإن ذلك لم يصح عن عثمان أصلا قال العلامة الألوسي في تفسيره« : فيها انقطاع، و اضطراب..» [٣٧]

٣-٣شبهة حول تواتر القرآن مع ردها:

إن القرآن غير متواتر جميعه، و دليل ذلك أن البسملة عند من يعتبرها قرآنا في بداية السور القرآنية لم يجر التحدي بها، في حين أن القرآن المتحدى به هو المتواتر. فالبسملة لا يتحدى بها، فهي غير معجزة، و لا يتحقق فيها أنها أصل لأحكام فكيف إذن تكون متواترة؟

الرد:

أولا: إن التحدي بالقرآن ليكون معجزا هو ما يكون أقله ثلاث آيات أي من سورة

واحدة، و التحدي بالبسملة كقرآن انما يكون بإضافتها إلى آيتين أخريين ليتألف من

الثلاثة قرآنا معجزا، و متحدى به، و هذا متواتر في نقله و حفظه[٣٨].

ثانيا: إن التحدي بالبسملة إنما يتعلق بنظمها، و بذل تتناولها الأحكام المعروفة بأن لتلاوتها- على اعتبار أنها قرآن- الأجر الكبير، و الثواب العظيم. [٣٩]

٣-٤ شبهة حول المكي و المدني مع ردها:

إن أسلوبي القرآن المكي، و المدني متعارضان. فالأسلوب القرآني المكي يتسم بالعنف، و التشدد، و الحدة، و القسوة، و الغضب، و الوعد، و الوعيد، و التهديد، و

الترهيب، بينما يتسم الأسلوب القرآني المدني باللليونة، و الصفح، و السماحة، و

العفو، و الفضل، و الاستنارة.

الرد:

إن نظرة عقلانية فاحصة في أسلوبي القرآن المكي، و المدني تفند هذه الشبهة، وتدحض افتراءات التعارض بينهما. فالقرآن الكريم بقسميه المكي، و المدني يشتمل على الشدة، و العنف، و الليونة، و الصفح، و هو

في دعوته إلى الحق، و الفضيلة، والاقتناع، و الإفحام، و الشرح، و التوضيح، يستخدم شواهد الحكمة و التشدد، و

العقلانية، و التسامح في قسميه و هو يستخدم أسلوب الترغيب و الترهيب، و الوعد و الوعيد، و الشدة والتسامح في مكيه، و مدنيه.

ثانيا: و كذل فإن الليونة، و التسامح، و الصفح ليس قصرا على القرآن المدني.

فالقرآن المكي تفيض آياته في الكثير من سوره بمثل هذه الصفات(٤٠).

الخاتمة:

١- أصالة قرآننا قرآن ربنا، معجزة رسولنا إلى أبد الآبدين ، وكيف تتحطم دوما على صخرته في الإعجاز كل محاولات الهدم، والدس، و الطعن، و النيل من فضائله، و هداياته، و أحكامه، و تطبيقاته.

٢- أنه الكتاب الرباني الوحيد الذي تتلاشى أمامه بدع الضالين، و شبهات الحاقدين، سواء حول وحيه، أو جمعه، أو كتابته، أو تواتره، أو مكيه و مدنيه، أو سبعة أحرفه، أو محكمه و متشابهه، أو نسخه، أو ترجمته، أو إعجازه، أو تطبيقه، أو صلاحيته.

٣- ان الحافظ له ربنا عز وجل وهو القائل:(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون).

٤- ان الشبهات التي ذكرناها والتي احلنا القارئ لها ما هي الا أوهن من بيت العنكبوت ويمكن ان ترد بأدنى تأمل وإمعان.

٥- ان الادلة التي تم الاعتماد عليها ضعيفة السند ومتعارضة فيما بينها وعليه تسقط لتكاذبها.

المصادر والمراجع:

القران الكريم

١- إبراهيم عوض (الدكتور) : دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل، طبع مصر ١٩٨٩.
٢- أبو الفدا إسماعيل بن كثير الدمشقي: مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، بيروت ١٤٠٢هـ...
٣- حسن علي حسن مطر الهاشمي ،قراءة نقدية في تاريخ القرآن للمستشرق ثيودور نولدكه.

٤- الدكتور محمد السعيد جمال الدين ،الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية .
٥- الدكتور محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية.
٦- الدكتور محمد عبد الله دراز شبكة الألوكة ،آفاق الشريعة ، نوازل وشبهات ، شبهات فكرية وعقدية
٧- سيد قطب: في ظلال القرآن، طبع دار الشروق ١٣٩٧هـ.
٨- صحيح مسلم – ويكي مصدر من تأليف: مسلم بن الحجاج (٨٢٢–٨٧٥)،تاريخ النشر: القرن ٩،اللغة العربية ،من تحرير: مسلم بن الحجاج البلد: نيشابور.
٩- عباس العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء، طبع مصر.
١٠-عبد الرحمن بدوي (الدكتور) : دفاع عن القرآن، (مترجم عن الفرنسية) ، طبع مصر ١٩٩٨.
١١-عمر بن إبراهيم رضوان ،آراء المستشرقين في التفسير.
١٢-لسان العرب، ابن منظور هو أبو الفضل محمّد بن مكرَّم بن عليّ جمال الدين ابن منظورٍ
١٣-المستشرق موير Muri في كتابه " إله محمد موير .
١٤-مصطفى مسلم، شبهات المستشرقين حول مصادر القرآن الكريم.
١٥-المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.
١٦-نولدكة، تأريخ القران، دائرة المعارف الاسلامية.
١٧-النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، غرائب القرآن، طبع في مصر،١٤١٦

الهوامش

(٣) المعجم الوسيط، ج ٢،ص٤٨٢
(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة شرق.
(٣)ينظر الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية ، الدكتور محمد السعيد جمال الدين.
(٤)المستشرقون والدراسات القرآنية: للدكتور محمد حسين علي الصغير: ص١١.
(٥)المصدر السابق: ص١١-١٢ بتصرّف.
(٦)قراءة نقدية في تاريخ القرآن، حسن علي حسن مطر الهاشمي: ص١٦-١٨نشأة الاستشراق وتأريخه.
(٧)الاستشراق أهدافه ووسائله لمحمد فتح الله الزيادي: ص٢٤، ط١٩٩٨.
(٨)المصدر السابق: ص١٨-٢٠
(٩)المصدرنفسه،ص١٩.
(١٠)المصدر السابق: ص٢٠-٢٢.
(١١)المستشرقون والدراسات القرآنية للدكتور محمود حسين على الصغير: ص١٣-١٥.
(١٢)المصدر السابق: ص١٤-١٥
(١٣)المصدر السابق: ص ١٦-١٧
(١٤)قراءة نقدية في تاريخ القرآن للمستشرق ثيودور نولدكه. حسن علي حسن مطر الهاشمي: ص٣١-٣٢.
(١٥) آراء المستشرقين في التفسير، عمر بن إبراهيم رضوان،ص٤٥.

(١٦) أ. د. مصطفى مسلم، شبهات المستشرقين حول مصادر القرآن الكريم.
١٧ - شبكة الألوكة ،آفاق الشريعة ، نوازل وشبهات ، شبهات فكرية وعقدية.
(١٨) شبكة الألوكة ،آفاق الشريعة ، نوازل وشبهات ، شبهات فكرية وعقدية
(١٩)المصدر نفسه.
(٢٠)صحيح مسلم ،كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة.
(٢١)ينظر الدكتور عبدالرحمن بن عبدالجبار هوساوي أستاذ علوم القرآن المساعد بجامعة الملك فهد ،الرابط جريدة الرياض وعبد الرحمن بدوي: دفاع عن القرآن، ص ٤٤.
(٢٢)راجع تعليقات إبراهيم عوض في كتابه: دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل، وهو الكتاب الذي ألفه في نقد ما كتب في الطبعة الأولى من الدائرة المذكورة، ص ١٨٧ وما بعدها حول آراء المستشرقين في المسائل اللغوية وما أثبته من وجود عدد كبير من هذه الألفاظ في الشعر الجاهلي قبل نزول القرآن الكريم.
(٢٣)ترد السورة في ترتيب " نولدكه" الزماني للقرآن، وهو الترتيب الذي يعتمده المستشرقون، برقم ١ (انظر: دائرة المعارف الإسلامية، مادة القرآن في الفقرة ٣ تاريخ القرآن) .
(٢٤)أعنى المستشرق موير Muri في كتابه " إله محمد ".
(٢٥)سيد قطب، في ظلال القرآن، طبع دار الشروق سنة ١٣٩٧، ٤: ٢١٩٥.
(٢٦)ينظر مناقشة هذه المسألة بتوسع عند: الدكتور محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، طبع مصر ١٤١٦، ص ٦٢ وما بعدها.
(٢٧)سيد قطب: الظلال، ٢: ١٣٦٤
(٢٨)مختصر ابن كثير: ١:٥٩٨.
(٢٩)انظر: المقال نفسه في دائرة المعارف الإسلامية.
(٣٠)د. إبراهيم عوض: دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل، ص ١٤.
(٣١)غرائب القرآن للنيسابوري، ٣: ٢٣٧٨.
(٣٢)سيد قطب: الظلال، ١٠٢:١.
(٣٣)سيد قطب، أيضاً: ٤: ١٩٤.
(٣٤)ينظر: عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن، ص ١٠٢.
(٣٥)ينظر في مثل هذه الشبهة: دكتور غازي عناية- كتاب: هدى الفرقان في علومالقرآن. ج ا- ص ٢٩١ و ما بعدها.

(٣٦)شبهات حول القرآن و تفنيدها ص: ٤٢-٦٥.
(٣٧)ينظر كتاب شبهات حول القران،ص٦٤،بتصرف.
(٣٨)ينظر محمد عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان- ج ١ ص- ٣٩٢
(٣٩)ينظر المصدر السابق ،ص٧٧-٧
(٣٩) ينظر كتاب شبهات حول القران،ص٧٢.